

أزمة تلقي قصيدة النثر في الشعر العربي المعاصر  
" محاولة في رصد الظاهرة والأسباب "

أ.م. د. جاسم حسين سلطان الخالدي  
جامعة واسط / كلية التربية  
قسم اللغة العربية

الكلمات المفتاحية

قصيدة النثر - أزمة التلقي - نظرية القراءة والتلقي

Receive crisis prose poem in contemporary  
Arabic poetry  
Trying to monitor the phenomenon and its "  
"causes

A. M. D. Jassim Hussain Sultan al-Khalidi  
Wasit University / College of Education  
Department of Arabic Language

## ملخص أزمة تلقي قصيدة النثر في الشعر العربي المعاصر

### " محاولة في رصد الظاهرة والأسباب "

أ.م. د. جاسم حسين سلطان الخالدي

جامعة واسط / كلية التربية

قسم اللغة العربية

يبدو أن الشعر الحق في كلّ الأزمنة والامكنة ، هو الذي يجد طريقه إلى المتلقي ، لا أقول ببسر وسهولة ؛ ولكن بوسائل كثيرة يمكن أن يستثمرها الشاعر من أجل إيصال الرسالة التي تتضمنها تلك القصيدة أو هذا النص . ومعنى هذا ان لا قيمة لأية قصيدة ، أو لنقل للشعر بشكل عام ما لم يكن له أثر في متلقيه ، أو ما لم يكن لمتلقيه أثر فيه ، وما لم يتضمن موقفاً ما بإزاء الحياة والكون، وسوى ذلك ، لا يعدو أن يكون قصائد خالية من جذوة الروح ، ورصفاً للكلمات والتراكيب .

إن انشغال الشاعر بالتفكير بنوع الجمهور الذي يستهوي شعره ، لم يكن في جميع الاحوال في صالح النص والشاعر ، ولكن الشاعر الموهوب الذي يمتلك موهبة كبيرة هو الذي يجسد مستوى مختلفاً من الانسجام والتلاحم بين شعره ومتلقيه . وهذا لا يعني قطعاً ان يتنازل الشاعر عن قيم شعرية جمالية راسخة في ذهنيته بداعي الاقتراب من المتلقي.

هذا ما يقف عليه الباحث وهو يعاين هذه الأزمة التي طالت القصيدة العربية الحديثة ؛ ولاسيما قصيدة النثر ؛ إذ إن بعض الشعراء قد أوجد وسائل كثيرة من أجل ردم الهوة بينه وبين متلقيه ، بحيث وصلت قصيدته إلى الناس ، مثل الجواهري الذي ألف شعره ظاهرة تستحق الاهتمام والدراسة من القراء والمتلقين على حد سواء . وهو أمر انتبه إليه شعراء التجديد والحداثة أيضاً كبدري شاكر السياب وغيره . أما قصيدة النثر فقد واجهت صعوبات كبيرة في تلقيها أول وهلة ، بسبب بنيتها السائبة والفوضوية التي أسبغت نماذجها الأولى وما رافقها من قضايا نقدية مثيرة للجدل دفعت بشعراء كثيرين إلى البحث عن وسائل لا تختلف كثيراً عن الوسائل البيانية والايقاعية التي أفاد منها الشاعر القديم . في حين انكفأ آخرون على أنفسهم وراحوا يصرحون بأن لا جمهور لهم ولا يريدون جمهوراً ؛ إذ إنهم يكتبون لجمهور

مفترض لا وجود له سوى في عقولهم . وهو أمر يتنافى مع وظيفة الشعر التي تتطلب وجود هذه الثنائية ( الشاعر والمتلقي ) على الرغم من تغيّر وظيفة الأخير في المدونة النقدية المعاصرة . وهو ما نقف عليه مفصلاً في الصفحات اللاحقة من هذه الدراسة .

# Receive crisis prose poem in contemporary Arabic poetry

## Trying to monitor the phenomenon and its " causes

### Abstract

It seems that the free verse, in all times and places, finds his way to the receiver, not smoothly and easily but in many ways that can be invested by the poet in order to convey the message contained in the poem, or the text. This means that the poem, or the verse in general, will not be invaluable unless it has an impact on recipients, or unless the recipients have impact on it. If it doesn't reflect a position towards life and the universe, it will be merely blank texts as pieces of language .stones

The preoccupation of the poet to think about the type of audience that is impressed by his verse was not in all cases in favor of the text and the poet, but a talented poet who has a great talent for poetry is the one who embodies a different level of harmony and cohesion between poetry and recipients. This certainly does not mean that the poet waived his poetic aesthetic values established in his mind in order to approach .the receiver

This is what the researcher tries to explain when he examines the crisis which affected the Arabic modern poem, especially the prose poem; as some classic poets have founded many ways in order to bridge the gap between him and the recipients, so that his poem has reached to people like Al-

Jawahiri whose poetry formed a phenomenon worthy of attention and study and Badr Shaker Al-Sayyab and others

The prose poem has faced many difficulties in receiving because of its bulk and chaotic first models accompanied with excited monetary issues that prompted many poets look for means not much different from those of rhythmic charts adopted by the old poet. Other poets restricted themselves and started to declare that there is no audience for them and do not want an audience, as they are writing for an audience exist only in their minds, which is contrary to the function of poetry that requires the presence of these bilateral (poet and receiver) despite the change in function of the former in the contemporary blog. This is what the researcher tries to review in the subsequent pages of this research

## أزمة تلقي قصيدة النثر في الشعر العربي المعاصر

### " محاولة في رصد الظاهرة والأسباب "

#### مدخل

#### الشاعر ومتلقيه

يبدو أن الشعر الحق في كلّ الأزمنة والامكنة ، هو الذي يجد طريقه إلى المتلقي ، لا أقول ببسر وسهولة ؛ ولكن بوسائل كثيرة يمكن أن يستثمرها الشاعر من أجل إيصال الرسالة التي تتضمنها تلك القصيدة أو هذا النص . ومعنى هذا ان لا قيمة لأية قصيدة ، أو لنقل للشعر بشكل عام ما لم يكن له أثر في متلقيه ، أو ما لم يكن لمتلقيه أثر فيه . وما لم يتضمن موقفاً ما بإزاء الحياة والكون، وسوى ذلك ، لا يعدو أن يكون (( نصوصاً فارغة من جذوة الروح ، ورصفاً لأحجار اللغة )) . (1)

إن انشغال الشاعر بالتفكير بنوع الجمهور الذي يستهوي شعره ، لم يكن في جميع الاحوال في صالح النص والشاعر ، ولكن الشاعر الموهوب الذي يمتلك موهبة كبيرة هو الذي يجسد مستوى مختلفاً من الانسجام والتلاحم بين شعره ومتلقيه . وهذا لا يعني قطعاً ان يتنازل الشاعر عن قيم شعرية جمالية راسخة في عقله بداعي الاقتراب من المتلقي . فشاعر مثل الجواهري ، على الرغم من ميسمه الخاص في التعامل مع اللغة ، نجح في الاقتراب من مناطق متلقيه من خلال تلك الروح العنيفة المتوثبة التي لم تعزله عن الناس وتمنعه من الانغمار في حياتهم الهادرة بالألم والترقب. (2) معنى ذلك أن الشاعر ، لم يسقط من حسابه ، متلقي شعره ، فقد كان واسطة العقد بينه وبين جمهوره ، تلك الروح الملهبة التي تنجح في تحويل الموضوع ، أي موضوع شعري إلى ((جزء حميم من غيظ الشاعر واحتدامه )) . (3) وهو أمر لم يتوافر إلا لذوي المواهب الكبيرة ، ولا عجب إذا ما عرفناه انه يمثل (( حلقة متينة ضرورية تربط بين الشعر وتصدعات الواقع ، وبين جلال الماضي ودموية العصر )) . (4)

إن إقبال الجمهور على شعر الجواهري - مثلاً - هو تأكيد لجزء من ذاكرة تلقى ما زالت تهيمن على الذائقة العربية التي تنجح إلى جلجلة الصوت ودفق الموسيقى ، وفخامة الألفاظ . بحيث نجد المتلقي يشارك الشاعر أو يتقدمه في تنمة أبيات القصيدة ، وهو جزء من انغماره في النص وانغماسه إلى حد الوله والتماهي على الرغم من أن ذلك قد يشير إلى التكرار والرتابة . إن هذا الأمر لم يكن مقتصرأ على

شعراء القصيدة الكلاسيكية ، بل تعداه إلى شعراء التفعيلة أو الشعر الحر ، إذ لم يجدوا ضيقاً - على الرغم من انغماسهم في الاسطورة والرموز الموهلة في القدم - أن يلتفتوا إلى ما هو واقعي ومعاش ، فهذا السياب قد ارتفع (( بحياته الشخصية إلى مستوى الأسطورة ، حتى صار الشاعر والرمز ، في فترته المأساوية خاصة ، شيئاً واحداً لا يمكن تجزئته )) .(5)

إن ذلك الميسم السيابي قد أتى أكله حين لفت شعره اهتمام النقاد والشعراء فلم يجد المتلقي نفسه بعيداً عن السياب وهو ينشد : (6)

بويب ...

بويب ...

أجراس برج ضاع في قرارة البحر  
الماء في الجرار ، والغروب في الشجر  
وتنضح الجرار أجراساً من المطر

بلورها يذوب في أنين

بويب ... يا بويب

فيدلهم في دمي حنين

إليك يا بويب

يا نهري الحزين كالمنظر

فبويب لم يعد في هذا النص جدولاً صغيراً يعرفه السياب وحده ، بل صار رمزاً غزير الدلالة ينتظم على صور عذابه وانكساره وخيباته .

فمتلقو هذه النص وامثاله قد يختلفون في قراءته ، ولكن الذي يلم شتاتهم هو جمالية النص وفنيته وما يتضمن من حمولات معرفية وثقافية ؛ إذ هو السبيل الذي يجمع الجمهور بالشعر ويقرب المسافة بينهما . ومثل هذا الكلام يمكن أن ينطبق على عبد الوهاب البياتي الذي انغمس شعره - في مراحل الأولى - في الحياة بكلّ تقلباتها وتشظياتها ؛ وبذلك خلق له جمهوراً متلقياً انتصر له ، وبقي يسانده صوتاً شعرياً غير مألوف في الشعرية العراقية ، وحتى في انتقالاته صوب فضاءات أكثر حداثة من قبيل انفتاحه على منطقة الحلم ، والتداعيات الصوفية ، وتقنية القناع ،

فقد بقي حريصاً على خيط شفيف يربطه بمتلقيه ، يمدّه بفيض من روحه ، كلما رأى أمارات وهن بادية عليه .

كما أن من البديهي القول إن تلقي الشعر مرتبط بشيء أو بآخر بالعلاقة الاتصالية بين المبدع والمتلقي . وقد أجمل أحد الباحثين هذه العلاقة بأربعة محاور هي : جدل الشفوي والمكتوب ، و جدل التخيل والتخييل ، وجدل المسموع والمرئي ، وجدل الإبانة والإغماض . وهي جدليات متصلة ببعضها كما يذهب الباحث ، ولها ما يؤسسها في التراث النقدي العربي ، وهي مثار جدل في الحداثة الشعرية . فعلى صعيد الجدلية الأولى صار الإنشاد والتطريب من وظائف الشعر بعامة ، وهو عامل من عوامل التأثير والتأثر في المتلقي . أما جدل المسموع والمرئي فهو حديث عن علاقة الأبصار في عملية التلقي والمسموع بالإيقاع الشعري وعلاقته بالوزن بوصفه ركناً من أركان القول الشعري . وفيما قصد بالتخييل والتخييل بأن لا تفسير للشعر ولا تأويل له خارج التخييل وهو فعل وجداني وعقلي في وقت واحد . وتحدثت الجدلية الأخيرة عن ظاهرة الغموض أو الإغماض بوصفها وجهاً من وجوه عطالة الشعر من جهة متلقيه . فلو احتكنا الى هذه الجدليات الأربع في محاكمة قصيدة النثر لصار واضحاً اسباب اتساع الهوة بين التلقي والإبداع . (7) وهو ما أثر في وظيفة الشعر المعاصر أيضاً ؛ إذ لم يعد الناقد يبحث عن أثر النص في القارئ بل يبحث عن أثر القارئ في النص ، وما يمكن أن يمنحه له من تنمية أو اضافة . ومعنى ذلك أن الطريق الذي يجمع الشاعر وجمهوره قد استبدل بطريق آخر يجمع بين النص والقارئ ، وكلّ منهما يمتح من الآخر بقدر أو يزيد وأصبح التواصل الممكن حدوثه بين القارئ والنص يكون بحسب " إيزر " وليد اللاتماثل بين النص والقارئ (8) . وبعبارة أكثر وضوحاً : إن وظيفة القارئ تغيرت من مستهلك للنص إلى منتج له ، وهو أمر لم يعد خافياً على المنتج الأصلي للنص الذي لم يبق أسير الانزياحات البعيدة ، والاستعارات المغرقة في الضبابية ، والتشبيهات البعيدة ، بل راح يبحث عن كوى جديدة تجعل القصيدة في متناول القارئ ورهن استجابته التي تؤلف نسيج الموقف النقدي برمته . لذلك ليس من الصحيح أن يدعي الشاعر بأنه لا يريد جمهوراً ؛ لأن ذلك يعني عزله عن محيطه ومن ثم انغلاق نصه على معنى واحد لا يقبل التعدد . في حين أن النص يمكن ان يسدي دلالات كثيرة ومختلفة باختلاف استجابة القارئ . (9) وهو الجانب الذي التقت إليه " إيزر " حين ربط نظرية التلقي بالتأويل ذلك أن علاقة القارئ بالنصوص تتحدد من خلال التأويل الذي يقتضي أن تكون القراءة شرطاً مسبقاً لعمليات التأويل الأدبي كلها .

(10)

من ذلك كله يمكن القول : إن الشاعر قديماً وحديثاً لا يتوانى في البحث عن مناطق دفع يلتقي فيها مع متلقيه ، تشيد سقوفها لغة شعرية موحية ومعبرة ، تمتح من الواقع بكف ، ومن خيالات الشاعر وانثيالاته ، وما تكتنزه لغته من استعارات وكنائيات وتشبيهات وترميز بكف أخرى . واضعاً في خلده طريقة تلقي الشعر في عالمنا العربي ، إذ لم يزل المتلقي (( مفتوناً بالصوت : يحركه ويشكل استجابته )) (11). وهذا الأمر – طبعاً – قد فوت الفرصة على القصيدة العربية المعاصرة من أن (( تستفيد من وجودها الخطي الملموس بطريقة كافية وفعالة )) (12).

### قصيدة النثر والتلقي

لقد انتبه بعض شعراء قصيدة النثر إلى ضرورة إيجاد قيم جديدة لتلقي نصوصهم حين حاولوا انتشالها من القطيعة التي واجهتها ، ونفور الجمهور عنها بدواعٍ مختلفة ، إذ لم يستطيعوا التحرر من سلطة المتلقي . فثمة اغواء واضح لفعل الالتقاء بقي يبرز تحت سلطته الشاعر (( ليلقي (عليه) رقاہ السحرية قبل فعل الكتابة ، ويملي عليه شروط التوصيل والتلقي ، وهكذا فإن للمتلقي وجوداً في وعي المبدع )) (13).

إن هذا الشعور الذي خامر شاعر قصيدة النثر بأن التغريب في المعاني والانغماس في الرمزية وتحويل القصيدة إلى رموز وطلاسم ليس في صالح النص والمبدع ؛ لأن فرضية بعض الشعراء ( من جيل الثمانينيات في العراق ) - مثلاً - بأن لا داعي لوجود جمهور ، فثمة قارئ مستقبلي ينتظر النص . وهو كلام يخالف المنطق تماماً ، فإذا كان النص لم يجد من يُصغي له في حياته الأولى فمن يضمن بأن يجد له آذاناً صاغية في المستقبل. ولعل الذي يطلع على شعر النهضة ممثلاً بأبرز رموزه : الرصافي والزهراوي يجد أن لهما أنصاراً ومؤيدين ، كانوا يعدون شعرهما انموذجاً للشعر المعبر عن واقع الحياة والناس والمستبطن لسنن الشعر الفنية ، فقد صار اليوم في نظر الكثير من القراء والنقاد نتاج مرحلة تاريخية معينة عبر عن واقع الناس وهمومهم ، ولكن ليس فيه من القيم الفنية والأسلوبية ما يجعله في مصاف الشعر ، إنه (( شعر المحتوى النبيل لا شعر الصياغة البهية )) ، بتعبير د. علي جعفر العلاق . (14)

إن الغموض في أكثر نصوص شعرائها كان حاجزاً بينها وبين تلقيها ؛ إذ إنه ( متصل بنية الشاعر في إتيان الغامض من الكلام واختيار منظومة من الدوال العvisية على الفهم إيغالاً في الاستعارة ورغبة في تشكيل لغوي معتم للمعاني " (15) بدعوى الحداثة وما بعدها لاحقاً . وهي أصبحت مشكلة من مشكلات الشعر

العربي الحديث بشكل عام. فضلاً عن أن تغريب الشاعر في صورته يزيد من صعوبة تلقي نصوصه ؛ إذ إنها دائماً (( لا تترجم غالباً وفق منطق العلائق الخارجية )) (16). الأمر الذي يطغى عليها غموضاً والتباساً على متلقيها . ولك أن تتصور ذلك ، وانت تقرأ هذه الصور التي انتخبته د. خالدة سعيد في كتابها "حركية الإبداع" ، وهي تتناول قصيدة النثر منها :

" أحشائي تهاجم الآنية تنسفها "

" رفعت ضحكك وهربت "

عدوت ألقط ثأراً سبقتني إلى رجائك دقة عيني الهمجية " (17)

وهنا يجب ألا يفهم من هذا أننا نطالب الشاعر بعدم التحليق في فضاءات الخيال والإتياء بصورة بعيدة ، ولكن نحن نريد من كل قصيدة أن تكون (( أرضاً جديدة تضاف إلى العالم المعروف )) . (18) وهذا يعني استبعاد كل ما هو جاهز ومعاد ومقولب ينافي المقدرة الإبداعية في الشاعر والقارئ معاً ويعمل على تغييب الشعر الحقيقي .

تتباين نظرة النقاد إلى طريقة تلقي الشعر بكل أجناسه ؛ ولا سيما قصيدة النثر ، فثمة نظرة ترى أن الشاعر بحجة مراعاة المتلقي يقع تحت سلطة القارئ السلبي الذي لا يقبل على الشعر إلا إذا كان (( ترنيمة تهدده أو تطربه )) (19) أو تتحول القصيدة لديه إلى شعارات مجانية ، وتجميع مفردات في هيئة قصيدة . القارئ هو شريك حقيقي للمبدع ، والقصيدة لا تكتمل بغير القارئ ، وهو عين ما تؤكدته نظرية القراءة والتلقي التي ترى (( أن الكاتب واضع نص ، والقارئ يخلق هذا النص من جديد )) (20).

إن مثل هذه النظرة تريد من القارئ أن ينتفض لنفسه والا يكون كسولاً ، وإن يكون لقاءه بالنص (( هو لقاء تفاعل وتبادل وإنتاج ) (21).

ومعنى هذا أننا بإزاء البحث عن قارئ مثقف يتفاعل مع النصوص التي تصبح ميداناً يلتقي عليها الشاعر والقارئ . مثل تلك النصوص ، هي بالتأكيد تبحث عن قارئ نخبوي لا أي قارئ ، وهو أمر يمكن أن تجده وأنت تقرأ شعر شاعر مجدد مثل أدونيس الذي كان شعره عودة صريحة (( إلى تحريك الفكر ، وإنزال المسلمات عن عروشها )) (22) وهو أمر ربما ينافي ما اعتاد عليه القارئ العربي الذي شغف بغنائية الشعر العربي التي ظلت سائدة ، ولما تزل إلى يومنا الحاضر . وهذا يحتاج إلى قارئ من طراز خاص ، إذ لا بد من أن يكون له

ذخيرته المقابلة لما تدخره النصوص من دلالات وإحياءات وحمولات معرفية وثقافية ؛ وهو ما عقد العلاقة بين النص الجديد والجمهور بشكل واضح ، وأفقد نظرية القراءة والمتلقي عنصراً مهماً من عناصرها ، أعني القارئ الذي أصبح دوره مغايراً لدوره القديم في النص التقليدي .

هنا يجب التنويه إلى إن بعض شعراء قصيدة النثر ينكرون على نصوصهم أن يكون لها حظوظ في الالتقاء والانشاد إذ يرون أنها (( تخاطب معرفة القارئ الكتابية لا الشفاهية ؛ لذلك فهي تستعين بوسائل كتابية متنوعة كأسلوبية البياض ولتوصيل الاحساس بالزمن ، وعلامات الترقيم لغرض توصيل الانفعال )) .(23)

بمعنى آخر أنها تولد إحياءات لا معاني ، كونها قصيدة دلالية ، وهذا يجعلها دينامية المعاني ، ويجعل المتلقي متغيراً طالما كان موقع المتلفظ متبدلاً على الدوام. (24)

إن هذه النظرة لا ترى ضرورياً أن تكون القصيدة قسيمة واقعها ، بمعنى أن شاعرها يسقط من حسابه ما يعرف بالجمهور؛ إذ تجده مصطلحاً فضفاضاً يتسع إلى حد الخروج عن أدبية الأدب وشعرية الشعر. وهي بهذا ترى أن الإنشاد الذي هو مرتبط بالجمهور يفرز هنات كثيرة تؤثر في فنية النص وتوقف خصائصه ومزاياه الداخلية وتعود به إلى الروح الكلاسيكية القديمة التي سادت الشعر العربي سنوات طويلة . لذلك فهي تجد من الضروري (( استبدال مصطلح الجمهور بالمتلقي أو المتقبل أو القارئ ، لإنجاز وجود النص وإظهار شعريته التي لا يستطيع الجمهور الشفاهي ان يحققها )) .(25)

كما اننا لا نريد من الشاعر أن يقتفي خطا الشاعر القديم في تلبية متطلبات المتلقي ليضمن له شهرة واسعة ، إذ (( كانت العامة تتطلب صورة بذاتها ، وكان على الشاعر إذا أراد أن تضيع شهرته أن يتبع هذه الصورة )) .(26)

وفضلاً عن ذلك ، إن الحديث عن القطيعة بين الشاعر ومتلقيه ليست مقتصرة على القراء فحسب ، بل تشمل المثقفين والمتخصصين ، يقول د. ضياء خضير (( يجب أن نتذكر أنه حتى بالنسبة إلى بعض المثقفين منا يبدو الاستماع إلى كثير ما يلقي في مهرجاناته الشعرية ، وقراءة الدواوين الحديثة أمراً صعباً أو قليل الجدوى )) . (27)

وكلام د. ضياء خضير لا يصدق على الشعر كله ، فقد استثنى جزءاً منه ، فما معيار هذا الشعر الذي يحظى بمقبولية القراء والمثقفين ؟ ولاشك أنه قد اشتمل على خصائص جمالية وموضوعية جعلته تلفت انتباه القارئ ويستحوذ على تلقيه . فقد

عدّ كثير من الدارسين أصل القطيعة بين القارئ والنص هو ظاهرة الغموض التي اشتغل عليها شعراء قصيدة النثر بسبب ميلهم (( إلى تعقيد تصنيع تشكيلهم الفني ، واعتماد لغة تصل إلى حدود الخرق اللغوي )) . (28) ذلك أن النص إذا وقع في الغموض غير الفني أو الإغماض ، انقطعت صلته بالمتلقي بحسب وصف جان كوهين . (29)

كما أن على الشاعر أن يردم الهوة بينه وبين المتلقي ، فثمة تفاوت ثقافي ومعرفي بينهما لا ينكر (( فالشاعر دائماً يتخيل قارئاً وهمياً يتوافق مع تحصيله المعرفي والثقافي ، وهو أمر لا يوفق فيه الشاعر )) . (30) . لذلك فقد برأ أدونيس ساحة الشاعر والقي اللوم على القارئ الذي رأى (( أن ما يسمى بصعوبة الشعر لا يتولد مع النص ذاته ، وليس كامنة فيه ، وإنما تتولد عن أمرين : الأول مستوى الثقافة ونوعيتها ، والثاني يرتبط بمدى وعي القارئ لمعنى الشعر وعمليته الإبداعية وكيفية قراءته (31) وكما لا يفوت الباحث أن يرجع ظاهرة ضعف تلقي الشعر إلى الشعراء أنفسهم ؛ إذ تتلبسهم (( النرجسية الاصطفائية التي تحمل من يعملون في ميادين الثقافة من شعراء وفنانين وفلاسفة وفقهاء إلى التعامل مع أنفسهم بوصفهم يجسدون عقول البشرية وضمايرها ومناراتها ورسالتها )) . (32) وهي ظاهرة ثقافية عززت القطيعة بين الشاعر والمتلقي ؛ إذ دعت (( القارئ أن يرقى إلى مستوى الشاعر ، وليس على الشاعر أن يقدم للقارئ أفكاره بأسلوب يعرفه الجميع )) (33) ، وهو المنطق نفسه الذي احتكم إليه أبو تمام في مخاطبة المشككين في شعره في القرن الثالث الهجري . والمنطق نفسه - أيضاً - الذي احتكم إليه سارتر حين قال : (( لا ينبغي أن نهبط لكي نعجب الناس ، بل على النقيض من ذلك ينبغي أن نوحى إلى الجمهور بمطالبه الخاصة ، وأن نرتفع به قليلاً قليلاً حتى تتكون لديه حاجة إلى القراءة )) . (34)

إن هذا الأمر كله جعل مهمة التلقي صعبة ، وصارت ظاهر التلقي ظاهرة عامة شملت الفئات المثقفة والعامة في الحقول المعرفية المتنوعة . وبسبب تلك النظرة الى علاقة الناس بالشعر جمهوراً كان أم قارئاً ، أبدى بعض الشعراء عدم اكتراثهم بالجمهور . وشجبوا النظرة المتعالية للنقاد بإزاء شعرهم الواضح كما تجسد في قول الشاعر كزار حنتوش : (35)

ذاك الناقد

ذو الأنف المعقوف

كعلاقة استفهام مقلوبة

يتشتم رائحة المغنم

كحصان

" لا خيل عنده يهديها أو مال "

ويسير على أربع

إثر الشاعرة الحسنا

مزكوماً من رائحتي الشعبية

ذاك الناقد / النابح خلف الرجل الممتاز

حتى غرفة نومه .

وثمة نماذج أخرى استشهد بها د. عباس عودة شنيور في دراسته " تلقي الشعر العربي المعاصر في العراق " . تؤكد جميعها على محنة الشاعر وهو يواجه مصيره الشعري بلاتلق أو أدنى عناية نقدية .

وثمة نظرة أخرى ترى أن واحداً من أسباب ضعف تلقي الشعر هو ظهور اجناس شعرية جديدة زاحمت القصيدة التقليدية ، ولاسيما قصيدة النثر التي (( عقدت أزمة التوصيل التي أوجدتها قصيدة التفعيلة )) . (36)

ومعنى هذه أن بعض دعاة قصيدة النثر رفضوا أن يكون لقصيدتهم جمهور بالمعنى التقليدي بعد التحولات الكبيرة التي شهدتها القصيدة العربية وظهور أجناس شعرية جديدة خرجت على القصيدة الكلاسيكية وسوّقت نفسها على أنها حاملة للواء الحداثة ، أو هي قصيدة الحداثة ، وقد رافق هذا تحول آخر؛ إذ خرجت على الشفاهية التي استغرقتها أمداً طويلاً واعتمدت على الكتابة ، وعلى البصر ، وعلى السمع ، فجمهور قصيدة النثر إذن هو شعراؤها ونقادها .

ومن هنا يمكن أن نفهم صرخة أدونيس (( ليس لي جمهور ، لا أريد جمهوراً )) (37) المشار إليها سابقاً التي لا تقتصر على قصيدته النثرية ، بل تشمل عموم شعره الذي شغلت قصيدة التفعيلة جزءاً منه . بمعنى أن ضعف التلقي قد كرسه الاجناس الجديدة في الشعرية العربية بالشكل الذي مثّل ظاهرة وقفت عندها النقدية العربية ، فقد نقل د. غالي شكري قصيدة للشاعر عبد المنعم عواد يوسف عنوانها " أغنية لمستمع لم يولد بعد " ، منها :

(38)

قال لي : وفر غناء

ليس في العالم من يصغي إلى هذا النشيد

ليس في العالم إنسان وحيد

ليس في العالم من يسمع شذوك

قلت : حقاً ربما الآن ولكن في المدى الآتي البعيد

في السنين المقبلة

في القرون الآتية

ربما يولد من يمنح اذنًا لغنائي .

ويشير عنوان القصيدة إلى إحساس الشاعر باغترابه عن محيطه والبحث عن قارئ مستقبلي لم يولد بعد ، بعدما فقد أمله بمن حوله .

وثمة نظرة ثالثة ترى : أن الشعراء يد والجمهور باب ، والشاعر الذي لا يتجه بشعره إلى أحد ، يبقى نائماً في الشارع ، شعراء كثيرون لا يزالون نائمين في الشارع (39) . وهو - أيضاً - عين ما فكر به الشاعر علي الامارة وهو يقول :  
(40)

سوف لا اسمح للشعر

أن يعزلني عن العالم

ولا العاطفة

أن تأكل قصائدي

عندما أبكي سوف أبكي

بكاءً جماهيرياً

وفي لفظة نقدية ربط د. عباس عودة شنيور بين الصمت والشعر ؛ إذ إنه يرى (( أنها محنة الشاعر المعاصر ، حين يتساوى عنده الصمت والشعر ، بسبب لا مبالاة المجتمع بصوته المختنق ، وضياح مكانته المرموقة ، في زحمة التدافع البشري اليومي )) (41) فدلالة الصمت هي المعادل الموضوعي لإحساس الشاعر بالمسافة

الشاسعة التي تفصل بينه وبين متلقيه . وهو ما دفعه في بعض الأحيان أن يعتزل الناس وينكفى إلى ذاته .

فالصمت هو نفسه ضعف التلقي

بل إن الشاعر يذهب إلى أبعد من ذلك ، حين يتملكه إحساس بأن الناس لا تفهمه ، وكأنه كائن من كوكب آخر ، والقصيدة حينئذ تتحول إلى كابوس يؤرق الشاعر ، والتباس بحاجة إلى إيضاح ، يقول زاهر الجيزاني : (42)

يقرأ الشاعر كابوساً ولا يفهمه الناس

يُحملُ الشاعر كالميت

من البار إلى البيت

ولا يفهمه الناس

ومن ذلك يمكن أن نفسر الثورة العارمة التي أشعل فتيلها بعض الشعراء على الناس بشكل عام ؛ إذ رأوا فيهم قتلة للإبداع والشعر ، فهذا شاعر يعنون قصيدته بـ ( هذي أناس تقتل شعري ) يقول فيها : (43)

هذي أناس

لا تهوى الشعر

لا تقرأ أدبا

لا تفهم شيئاً في الرجز

اعطيها الخبز

تفهم فيه

ومن دون شك فإن في النص تجنياً كبيراً على الناس ، إذ ليس من وظيفتهم في هذا الكون أن يقرأوا الشعر وتتفاعلوا معه ، فليدبروا المشاغل والهموم ما يشغلهم عن كثير من الملذات ، والشعر هو بالنهاية نوع من اللذة ، فالأكل والشرب والتذوق ، هي مقومات الحياة ، وإن اختلفت الرغبة من إنسان لآخر ، والرقص والغناء الشعبي هي نتاج ثقافات شعبية غائرة في القدم ، يقول زهير كاطع الحسيني : (44)

هذي أناس

لا تحسن موسيقى الشعر

لا تقرأ اشعار النثر

لا تستذوق فن الأدب

وتفسر هذا الحرف

بعد الجهد بذات الحرف

وتجهل بعض الناس

البعد الاخر للغز

لم تدرك أبداً

لم تقرأ

ما بين السطر وذاك السطر .

ومن ذلك نفهم أن ثمة أزمة تلقى ما زالت تطل برأسها في الشعرية العربية ، لكن هذا لا يمنع من القول إن قصيدة النثر في العراق قد تجاوزت محنة التلقي بكثير ، فقد نجح بعض شعرائها من فتح كوى جديدة وضعتهم على أعتاب الابداع والتلقي ، وكتبوا نصوصاً استقوها من الواقع ، ونفخوا فيها روح الشعر لتجد اصداً لها عند الناس ، لذلك نحن نختلف مع قول د. عباس عودة شنيور من (( أن جيل شعراء الثمانينيات والتسعينيات بدوا مختلفين عمّن سبقهم من الشعراء ، في انهم لم يكونوا مصدومين بموقف المجتمع العازف عن تلقي أشعارهم ، ولذلك نجدهم ماضين في كتابة قصائدهم ، وهم يعلمون تماماً أنها لا تقرأ ، ونجدهم يلعنون الصمت مقابل لا مبالاة المتلقي ، وسرعان ما يتراجعون عنه بقصائد لا تبالي هي أيضاً ، بالمتلقي )) (45) .

كلام الناقد هذا لا يصح على معظم شعراء قصيدة النثر ، ولا سيما جيل التسعينيات الذين كتبوا قصائدهم وعيونهم على متلقيهم سواءً كانوا جمهوراً متلقياً أم قارئاً . وليس أدل على ذلك هو تدافع الشعراء على منصات المهرجانات الشعرية ، وإقبالهم على لقاء الشعر على الرغم من أن كثيراً من نصوصهم لا تصلح للمنبر الشعري ، وهي نصوص كتابة ، فضلاً عن اهداء الشعراء لمجاميعهم للقراء والنقاد رغبة في القراءة والكتابة عنها . هذا يؤكد رغبة الشاعر في إيصال رسالته إلى متلقيه منطلقاً

من القول :(( ليست للعمل الأدبي أهمية في ذاته ، تبدأ أهميته من اللحظة التي يلتقي فيها بالجمهور ،وتتحقق وظيفته ،ويخرج إلى الوجود بفعل القراءة )) .(46)

## الخاتمة

لقد حاولت الدراسة تقصي ظاهرة ضعف التلقي التي أصبحت تؤلف خطراً ليس على الشعر فحسب ؛ بل امتدت الى الاجناس الادبية الاخرى ، وصارت ظاهر التلقي ظاهرة عامة تجاوزت القراء العاديين إلى الفئات المثقفة والعاملة في الحقول المعرفية المتنوعة . وبسبب تلك النظرة الى علاقة الناس بالشعر جمهوراً كان أم قارئاً ، أبدى بعض الشعراء عدم اكتراثهم بالجمهور والنقاد معاً ؛ لذلك كان ضرورياً أن تجيب هذه الدراسة على هذا السؤال المهم : إذا كان للشعر رسالة ، فكيف يعبر الشاعر عن رسالته إذا لم يتنازل عن كثير من الانزياحات البعيدة المغرقة في الايهام ، والتشبيهات المضادة لكل قوانين الحياة و الوجود ، حتى يتسنى للشاعر الاقتراب من فضاءات المتلقي ، ولا اقول انزال الشعر من عروش ووضعه امام المتلقي 'بل إيجاد برزخ خاص يلتقي فيه الاثنان حتى يضمن المرسل إيصال رسالته الى المتلقي . كما أن على الشاعر أن يعرف أسرار اللعبة الشعرية ويعرف من أين تبتدأ القصيدة ، وأين تنتهي ؟ وأن يكون وراء كتابتها مغزى ما . نعم ان النص هو حمال أوجه ؛ ولكن لا بد من حمولة معرفية تشع عنه . فضلاً عن ذلك ، ان على الشاعر أن يتحرر من كونه شاعراً يكتب الشعر لأجل الشعر فحسب ؛ لا بل أن يكون له موقف ما بإزاء الحياة إذ عليه أن يجيب على تساؤلات ، وهو من المفترض ان يكون لديه وجهة نظر خاصة في قضايا الحياة كافة ، ويكون بمستوى هذه المهمة كون الشعر بذات مهمة خطيرة ولا بد من أن يكون بمستوى الرسالة التي يمثلها الشعر في الحياة .

وهو أمر ليس منوطاً بالشعراء فحسب ، بل إن النقد يتحمل كثيراً من المسؤولية ، إذ رفع من قيمة شعراء وحط من آخرين ، حتى تصدر المشهد الشعري شعراء قد عبثوا بكل المقاييس النقدية.

## الإحالات

(1): الشعر والتلقي ، د. على جعفر العلاق ، دار الشروق ، عمان ، الطبعة العربية الاولى ، 1993م : 9.

(2) ينظر المصدر نفسه : 10

- (3):المصدر نفسه : 11.
- (4): المصدر نفسه : 12.
- (5): دير الملاك : دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العربي المعاصر ، دار الرشيد ، بغداد ، 1983م : 138. وينظر: المصدر نفسه : 21.
- (6): ديوان بدر شاكر السياب ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، 1971م :
- (7) : ينظر الشعر ومستويات التلقي ، د. خالد الغريبي ، مجلة الأعلام ، العدد 4 ، آب – أيلول لسنة 1998م : 36- 40.
- (8) : ينظر أثر استقبال نظرية التلقي على النقد العربي الحديث بين السلب والايجاب ، د. اسماعيل علوي اسماعيل ، مجلة الأعلام ، العدد 4 ، آب – أيلول لسنة 1998م : 31
- (9): ينظر: الشعر والتلقي : 64- 65 .
- (10) : فعل القراءة ، نظرية جمالية التجاوب في الادب ، فولفغانك إيزر ، ترجمة د. حميد الحميداني ود. الجلال الكدية ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 1995م : 11.
- (11): الشعرية العربية الحديثة تحليل نصي ، شربل داغر ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، 1988م : 14.
- (12): قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، د. محمد عبد المطلب ، القاهرة ، 1990م : 207.
- (13) : الشعر والتلقي : 9
- (14) : الشعر ومستويات التلقي : 40.
- (15) : حركية الابداع ، دراسات في الادب العربي الحديث ، د. خالدة سعيدة ، دار العودة ، بيروت ط2، 1982م : 76.
- (16):المصدر نفسه : 75.
- (17):المصدر نفسه : 93.

- (18): المصدر نفسه : 94.
- (19): المصدر نفسه : 94.
- (20): المصدر نفسه : 94.
- (21): استراتيجيات التلقي في النقد الأدبي ، ماجد صالح السامرائي ، مجلة الأقلام ، العدد 4 ، آب – أيلول لسنة 1998م : 4.
- (22) : حركية الإبداع : 95
- (23): حلم الفراشة ، الايقاع الداخلي والخصائص النصية في قصيدة النثر ، د. حاتم الصكر .إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، 2004م ، : 48.
- (24) : المصدر نفسه : 51.
- (25): المصدر نفسه : 73.
- (26) : الأسس الجمالية في النقد العربي ، عرض وتفسير ومقارنة ، د. عز الدين اسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، 2000م. ، : 169.
- (27): بحثاً عن الطريق ، ابحاث ومقالات في النقد ، د. ضياء خضير ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، سلسلة الدراسات (350) ، بغداد ، العراق ، 1983م ، : 133.
- (28): إشكالية التلقي والتأويل ، دراسة في الشعر العربي الحديث ، د. سامح الرواشدة ، جامعة مؤتة ، المطابع التعاونية ، عمان ، الاردن ، 2001م : 6
- (29) المصدر نفسه : 6
- (30): : 157 - تلقي الشعر العربي المعاصر في العراق ، دراسة في مستوى الاستجابة ، د. عباس عودة شنيور ، رسالة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، 2008م ،
- (31) : ها انت أيها الوقت ، ادونيس ، سيرة شعرية ثقافية ، دار الآداب ، بيروت ، ط1، 1993م : 72.
- (32): العالم ومأزقه ، منطق الصدام ولغة التداول ، علي حرب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2002م : 35.

(33) : مقدمة للشعر العربي، ادونيس ، ط3، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، 1979م : 43.

(34): ما الادب ، جان بول سارتر ، ترجمة وتقديم وتعليق د. محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، مصر ، د. ت : 242.

(35): الموجة الجديدة ، نماذج من الشعر العراقي الحديث ، 1975-1986م ، اعداد وتقديم زاهر الجيزاني وسلام كاظم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، كتاب الطليعة الادبية ، بغداد ، العراق ، 1986م : 71-72.

(36): الإبهام في شعر الحداثة ، (العوامل و المظاهر و آليات التأويل) تأليف محمد عبد الرحمان القعود سلسلة عالم المعرفة العدد 279 شهر مارس 2002م : 156.

(37) : التفضيل الجمالي ، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني ، د. شاكِر عبد الحميد ، سلسلة عالم المعرفة الكويتية ، عام 2002م : 350.

(38): الشعر الحديث الى اين ، د. غالي شكري ، الآفاق الجديدة ، ط2 ، 1978م : 77.

(39) : تلقي الشعر العربي المعاصر : 156.

(40): أماكن فارغة ، علي الامارة ، مطبعة دار الكتب ، البصرة ، العراق ، 1998م : 31.

(41) : تلقي الشعر المعاصر في العراق : 131 .

(42) : من أجل توضيح التباس القصيدة ، زاهر الجيزاني ، سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث ( 147 ) ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، الجمهورية العراقية ، 1981م : 111.

(43): هذي أناس تقتل شعري ، زهير كاطع الحسيني ، جريدة بلادي ، العدد ( 159 ) ، (5) ايلول 2012.

(44): المصدر نفسه : العدد والصفحة انفسهما .

(45): تلقي الشعر المعاصر في العراق : 144.

(46): نظرية التلقي الاتجاهات والاصول، ناظم عودة خضر ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1995م : 143.

#### مصادر البحث ومراجعته

- الإبهام في شعر الحداثة ، (العوامل و المظاهر و آليات التأويل) تأليف محمد عبد الرحمان القعود سلسلة عالم المعرفة العدد 279 شهر مارس 2002م.
- الأسس الجمالية في النقد العربي ، عرض وتفسير ومقارنة ، د. عز الدين اسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، 2000م.
- إشكالية التلقي والتأويل ، دراسة في الشعر العربي الحديث ، د. سامح الرواشدة ، جامعة مؤتة ، المطابع التعاونية ، عمان ، الاردن ، 2001م .
- أماكن فارغة ، علي الامارة ، مطبعة دار الكتب ، البصرة ، العراق ، 1998م.
- بحثاً عن الطريق ، ابحاث ومقالات في النقد ، د. ضياء خضير ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، سلسلة الدراسات (350) ، بغداد ، العراق ، 1983م .
- التفضيل الجمالي ، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني ، د. شاكر عبد الحميد ، سلسلة عالم المعرفة الكويتية ، عام 2001م .
- تلقي الشعر العربي المعاصر في العراق ، دراسة في مستوى الاستجابة ، د. عباس عودة شنيور ، رسالة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، 2008م .
- حركية الابداع ، دراسات في الادب العربي الحديث ، د. خالدة سعيدة ، دار العودة ، بيروت ط2، 1982م .
- حلم الفراشة ، الايقاع الداخلي والخصائص النصية في قصيدة النثر ، د. حاتم الصكر ، اصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، 2004م .
- دير الملاك : دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العربي المعاصر ، دار الرشيد ، بغداد ، 1982م .
- ديوان بدر شاكر السياب ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، 1971م .
- الشعر الحديث الى اين ؟ ، د. غالي شكري ، الآفاق الجديدة ، ط2 ، 1978م.

- الشعر والتلقي ، د. علي جعفر العلاق ، دار الشروق ، عمان ، الطبعة العربية الاولى ، 1993م .
- الشعرية العربية الحديثة تحليل نصي ، شربل داغر ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، 1988م .
- فعل القراءة ، نظرية جمالية التجاوب في الادب ، فولفغانك إيزر ، ترجمة د. حميد الحميداني ود. الجلال الكدية ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 1995م
- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، د. محمد عبد المطلب ، القاهرة ، 1990م.
- العالم ومأزقه ، منطق الصدام ولغة التداول ، علي حرب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2002م .
- ما الادب ، جان بول سارتر ، ترجمة وتقديم وتعليق د. محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، مصر ، د. ت .
- مقدمة للشعر العربي ، ادونيس ، ط3، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، 1979م .
- من أجل توضيح التباس القصيدة ، زاهر الجيزاني ، سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث ( 147 ) ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، الجمهورية العراقية ، 1981م
- الموجة الجديدة ، نماذج من الشعر العراقي الحديث ، 1975-1986م ، اعداد وتقديم زاهر الجيزاني وسلام كاظم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، كتاب الطليعة الادبية ، بغداد ، العراق ، 1986م .
- نظرية التلقي الاتجاهات والاصول ، ناظم عودة خضر ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1995م .
- ها انت أيها الوقت ، ادونيس ، سيرة شعرية ثقافية ، دار الآداب ، بيروت ، ط1، 1993م .
- هذي أناس تقتل شعري ، زهير كاطع الحسيني ، جريدة بلادي ، العدد ( 159 ) ، (5) ايلول 2012.

‘